المحاضرة الأولى / الإطار النظري لمفهوم الأزمة: الأسس المفاهيمية والتصنيفات والخصائص النفسية والتربوية

تمهيد :

يشكل مفهوم الأزمة أحد المفاهيم المحورية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظرًا لما يعكسه من لحظات تحول حاسمة في حياة الأفراد والمؤسسات. وقد تعددت المقاربات التي تناولت هذا المفهوم تبعًا لاختلاف الخلفيات النظرية والإبستمولوجية للباحثين، فتناولته المدرسة التحليلية من منظور الصراع الداخلي، بينما ربطته المقاربة المعرفية بعمليات التقييم والإدراك، واعتبرته المقاربة النسقية خللًا في توازن النظام.

1 / الأسس المفاهيمية لمفهوم الأزمة :

1 – 1 الأصل اللغوي والدلالي للمفهوم :

يرجع أصل كلمة الأزمة إلى المصطلح اليوناني *Krisis* الذي يدل على "القرار" أو "لحظة الحسم". وقد استُخدم المصطلح في المجال الطبي للإشارة إلى المرحلة الحرجة التي يتحدد فيها مسار المرض، إما نحو الشفاء أو التدهور.(Caplan, 1964) ويكشف هذا الأصل الدلالي عن بعدين أساسيين:

1. البعد التحولي.
2. البعد الحاسم المرتبط باتخاذ القرار.

1 – 2 / التعريفات النفسية للأزمة :

يعدّ الطبيب النفسي Gerald Caplan من أوائل من أسسوا لنظرية الأزمة في علم النفس الوقائي، حيث عرّفها بأنها حالة اختلال نفسي مؤقت تنتج عن عجز الفرد عن مواجهة موقف ضاغط باستخدام أساليب التكيف المعتادة.(Caplan, 1964)

أما Erik Erikson فقد تناول الأزمة ضمن نظريته في النمو النفسي-الاجتماعي، معتبرًا أن كل مرحلة عمرية تتضمن "أزمة نمائية" تمثل صراعًا بين اتجاهين متقابلين .(Erikson, 1968)
ومن ثم فإن الأزمة ليست دائمًا مرضية، بل قد تكون شرطًا للنمو.

1 - 3 التعريفات المعرفية والنسقية

في إطار نظرية التقييم المعرفي، يرى Richard Lazarus أن الأزمة تنشأ عندما يقيّم الفرد الموقف على أنه يتجاوز موارده وقدراته.(Lazarus & Folkman, 1984)
بينما تنظر المقاربة النسقية إلى الأزمة بوصفها اختلالًا في التوازن بين مكونات النظام (الأسرة، المدرسة، المؤسسة)

خلاصة التعريفات :

يمكن تعريف الأزمة في السياق التربوي بأنها:

حالة اضطراب دينامي تحدث نتيجة تفاعل حدث ضاغط مع إدراك الفرد له، بما يؤدي إلى اختلال مؤقت في التوازن النفسي أو الوظيفي، ويستدعي تدخلًا داعمًا لإعادة التكيف.

2 / تصنيفات الأزمات

2 – 1 : التصنيف وفق المصدر

1. **أزمات داخلية (ذاتية)**ناتجة عن صراعات نفسية أو تغيرات نمائية.
2. **أزمات خارجية** :ناتجة عن أحداث بيئية مفاجئة كالكوارث أو فقدان أحد الوالدين.

2 – 2 : التصنيف وفق البعد الزمني

- أزمات حادة (قصيرة المدى)
- أزمات مزمنة (ممتدة التأثير)

2 – 3 : التصنيف وفق المجال

- أزمات نفسية.- أزمات أسرية. - أزمات مدرسية. - أزمات مجتمعية.

2 – 4 : الأزمات النمائية والظرفية

يميز الأدب النفسي بين:

- **الأزمات النمائية** مرتبطة بمراحل النمو Erikson, 1968 – .
- **الأزمات الظرفية** مرتبطة بأحداث غير متوقعة

3 / الخصائص النفسية للأزمة

أ / : اختلال التوازن الانفعالي

تتميز الأزمة بارتفاع مستويات القلق والتوتر والخوف، نتيجة فقدان الشعور بالأمان.

ب / : ضيق المجال المعرفي

ينخفض نطاق التفكير التحليلي ويظهر ما يسمى "التضييق المعرفي"، حيث يركز الفرد على التهديد دون بدائل.

ج / الشعوربفقدان السيطرة

يعد فقدان الإحساس بالتحكم أحد المؤشرات الأساسية للأزمة.(Lazarus & Folkman, 1984)

د / : الحاجة إلى الإسناد الاجتماعي

تؤكد الدراسات أن الدعم الاجتماعي يعد عاملًا حاسمًا في تجاوز الأزمة.

هـ / : قابلية النمو

أثبتت الأبحاث أن بعض الأفراد يحققون نموًا نفسيًا بعد تجاوز الأزمات، فيما يعرف بالنمو التالي للصدمة.

4 / الخصائص التربوية للأزمة

4 – 1 : تأثيرالأزمة في التحصيل الدراسي

تؤثر الأزمة في العمليات المعرفية الأساسية (الانتباه، الذاكرة، الدافعية)، ما ينعكس سلبًا على الأداء الأكاديمي.

4 – 2 أثرالأزمة في المناخ المدرسي

قد تؤدي الأزمات الجماعية إلى تفكك العلاقات وارتفاع مستويات العنف أو الانسحاب.

4 – 3 : دورالإرشاد التربوي في إدارة الأزمة : يتطلب التعامل مع الأزمات في المؤسسات التعليمية:

1. تدخلًا وقائيًا.
2. تدخلًا علاجيًا.
3. برامج دعم نفسي اجتماعي.

وقد أشار Ian Mitroff إلى أن المؤسسات الناجحة هي التي تعتمد تخطيطًا استباقيًا لإدارة الأزمات.(Mitroff, 2005)

4 – 4 الأبعاد القيمية والمؤسسية

تكشف الأزمات عن مستوى التماسك القيمي داخل المؤسسة التعليمية، ومدى جاهزيتها التنظيمية.

5 / : المقاربات النظرية المفسرة للأزمة

1. **المقاربة التحليلية :**تفسر الأزمة كنتيجة صراع داخلي.
2. **المقاربة السلوكية :**تركز على الاستجابات الظاهرة.

3. **المقاربة المعرفية :**تدرس عمليات التقييم والإدراك.
4. **المقاربة الإنسانية :**تنظر للأزمة كفرصة للنمو.
5. **المقاربة النسقية :**تفسر الأزمة كنتيجة خلل في النظام.

خلاصة الفصل

6/ مراحل تطورالأزمة ونماذج التدخل الإرشادي :

تمثل دراسة مراحل تطور الأزمة أساسًا علميًا لفهم ديناميتها، إذ لا تُعدّ الأزمة حدثًا لحظيًا ثابتًا، بل عملية متدرجة تمرّ بسلسلة من التحولات النفسية والسلوكية. كما أن تحديد مراحلها يمكّن المرشد التربوي من اختيار التدخل المناسب في الوقت المناسب.

6 – 1 : مراحل تطورالأزمة

أولًا: نموذج التدرج التصاعدي للأزمة عند Gerald Caplan اقترح Caplan (1964) نموذجًا رباعي المراحل لتطور الأزمة:

1. **مرحلة الصدمة الأولية:**
يحدث فيها اضطراب مفاجئ نتيجة الحدث الضاغط، ويشعر الفرد بالتوتر والقلق.
2. **مرحلة تصاعد التوتر:**
يحاول الفرد استخدام استراتيجيات المواجهة المعتادة، لكنها تفشل في خفض مستوى القلق.
3. **مرحلة الاختلال الحاد:**
يظهر العجز الواضح، ويصاحب ذلك اضطراب في التفكير والانفعال والسلوك.
4. **مرحلة إعادة التنظيم أو الانهيار:**
إما أن يتمكن الفرد من استعادة التوازن عبر دعم خارجي، أو يدخل في اضطراب أعمق.